

أثر الدلالة في ألفاظ الطبيعة نظرة في جماليات شعر ابن هانئ الأندلسي

*The Impact of Semantic Meaning in Nature-Related Lexicon:
A Study of the Aesthetic Dimensions of Ibn Hānī al-Andalusī's Poetry*

د، جلول سليم حمريط¹
جامعة تيبازة - الجزائر -

تاريخ النشر 2025/12/29

تاريخ الارسال: 2025/10/13

ملخص :

تلعب الطبيعة بكل مكوناتها ، دورا رياديا وبارزا ومهما في تنقية الهواء وتصفيته مما يشوبه من كدر ، كما توفر الطبيعة بكل مناظرها الخلابة والساحرة متعة وراحة نفسية لمرتاديها ، كما أنها مصدر من مصادر الجمال والسكينة والتأمل، وهي بذلك عالم مادي بكل مكوناتها من الغابات والجبال والأنهار ، فالريف ركن الطبيعة الهادئ .

كلمات مفتاحية : الطبيعة ، جماليات ، ألفاظ ، الدلالة ، مفاهيم .

Nature, with all its components, plays a leading, prominent and important role in purifying the air and removing any turbidity. Nature, with all its picturesque and charming views, provides pleasure and psychological comfort to its visitors. It is also a source of beauty, tranquility and contemplation. It is thus a material world with all its

¹ - المؤلف المرسل.

أثر الدلالة في ألفاظ الطبيعة نظرة في جماليات شعر ابن هاني الأندلسي

components of forests, mountains and rivers. The countryside is a quiet corner of nature.

Keywords :

.nature, aesthetics, words, M'Sila, concepts

المؤلف المرسل:

توطئة :

تمتلك موجودات الطبيعة في منطقة المسيلة جزءا من التراث بما تملكه من خصوصية، وصورة صادقة في المنجز الأدبي والشعري، وهو ما يستولي على حس الشاعر ابن هاني الأندلسي، إذ تؤثر جمالية صورة منطقة المسيلة، وكل ما يدور في نطاقها، فتعظم حياة الطبيعة في نفسيته، وتشتد قريحته في توظيف ألفاظها الطبيعية، وتتهيا تلك القريحة للغوص فيها ابتهاجا بمفاتها، وينعكس على نفسيته، فقد وصف منطقة المسيلة بوصف لا يظهر فيه نوع من التلفيق أو التصنع، إذ يستخلص الصور الباهرة، وكل ما يتعلق بجاذبية المنظر الموهوب.

وقد تظهر مفردات وألفاظ البيئة الطبيعية، وكل ما تحتويه مظاهر الكون في كل موضوع من مواضيع الأدب، ولكن ابن هاني الأندلسي برع في استعارة هذه الأغراض الوصفية لينظر في جماليات الصورة المسيلية، فهي ينبوع ذلك الحدث المتفجر من أعماقه، لتكسب منطقة المسيلة معنى ذلك الهيام بالطبيعة، فمنحها طرفا من أغراضه، فكان موردا لحكايا التاريخ وأنموذجا فذاً، وهو جانب التفوق في وصف المسيلة وشعر الطبيعة بها.

فالإي حد وفق ابن هاني في التغني بوصف جماليات منطقة المسيلة؟ وما مدى تأثيرها في المتلقي؟ وكيف تتناسب ألفاظ الطبيعة ومقتضى المعنى؟

الطبيعة في شعر ابن هاني الأندلسي:

نظرة في جماليات شعر ابن هاني الأندلسي الإفريقي :

حبا الله منطقة المسيلة تلك الطبيعة الخلابة، والتي ألفت بظلالها على أفئدة الشعراء فافتتنوا بها وتنافسوا في ذكر أوصافها ومحاسنها، وتميزوا بل أفاضوا في التغني بتلك المحاسن، واعتبر ذلك حبا وانسجاما وعشقا لمناظرها، وتسابقت ألفاظهم مبينة في أروع مقاطعهم الشعرية، ومنهم من أصبحت الطبيعة مصدرا لإلهامه وأهم ما في حياته.

ومنطقة المسيلة انعكست عليها ظلال الشعراء فألفت بتلك الأشعة صوبها، وهي تردد تلك المحاسن الطبيعية الخلابة، مما يوثق لتلك الأواصر والانسجام الحاصل بين البيئة والشعراء، فالإنسان بطبعه ابن البيئة التي يعيش فيها كما يقال، لما له من شديد التأثير والتعلق والهيام بالبيئة الأم، فتظهر بكل وضوح في التغني بتلك المحاسن وأصدق على ذلك ما جاء عن الوطن حيث قال ابن الرومي:

ولي وطن آليت ألا أبيعه — وألا :. أرى له غيري الدهر — مـالكا
عهدت به شرخ الشباب ونعمة :. كنعمة قوم عاشوا في ظـلالك
وأحب أوطان الرجال إليهم — :. مآرب قضاها الشباب هنالك
إذا هم ذكروا أوطانهم ذكّرتهم — :. عهود الصبا فيها فحنّوا لذلك¹
وشاعرنا ابن هانئ الأندلسي الإفريقي تملكته تلك الطبيعة فكانت المتكأ
لجل أغراض شعره فيذكر آخذا من الطبيعة الضباء والعيس والمها والطلح
والبان.

قبا ب كما تُرجى القبا ب على المها :. ولكن من ضمّت عليه أسود.²
وكذا قصيدته المشهورة: فتكات طرفك والتي مطلعها:
فتكات طرفك أم سيوف أببك :. وكؤوس خمر أم مراشفُ فيك
حسبوا التّكّـل في جفونك حلـ :. ية تالله ما بأقهم كحلوك.³
وغزل ابن هانئ في الحقيقة "ساحة حرب تمتاز فيها الدماء بالخمور،
وتلمع فيها السيوف والعيون، وتتمايل فيها القنا والقامات".
ويستند على الطبيعة إذا كان له في الوصف حتى لكأنه يتناسى موضعه
وأصله، حتى أصبح واصفا كبيرا للطبيعة وشاعرا عظيما مولعا بها، وفي جميع

أثر الدلالة في ألفاظ الطبيعة نظرة في جماليات شعر ابن هانئ الأندلسي

وشتى مظاهر البيئة الطبيعية، فلا يخلو شعره من ألفاظ هذه البيئة الطبيعية الخصبة التي تستأثر بلبه، وتتناغم فيها موجودات الطبيعة ولعا بالناقة والفرس وحبا لمظاهر الجمال الطبيعي الأصيل وذكر البرق والسحاب، وهو حال من تمكن من ثراء العربية، إذ «تتميز اللغة العربية بثراء المادة اللغوية باختلاف موضوعاتها»⁴.

فإن وصف ذكر محاسن الطبيعة في مقطوعاته وبالأخص منه ذلك المديح الذي يتضمن الوصف، فيشتد وصفه للطبيعة بكل مظاهرها، وينتقل من وصف الناقة والفرس إلى الطبيعة وما حوت، ثم إلى السحاب والبرق ثم إلى المياه والغدران، ومما يتذكر من محاسن السفن الشراعية إلى غير ذلك من الديباج والدمقس والزركشة الفنية، مما وضع على تيجان المعز لدين الله الفاطمي من مظلة يعرف بها من حيث علوها، وشدة ترصيعها بالخز المحلى بالذهب، ومن فوائدها أنها تقي الأمير الفاطمي من لهيب الشمس وبرودة الطقس عند ظهوره في الأعياد والمناسبات على حد قوله:

وعلى أُمير المؤمنين غمامة — : نشأت تظلل تاجه تظليلا.
نهضت بثقل الدر ضوعف نسجها — : فجرت عليه عسجدا محلولاً.⁵
وإذا حن إلى بلاده مال بحنينه إلى التذكار من طبيعتها الجميلة الخلابة.
وقبلي نأى عن جنة الخلد آدم :. فما راقه من جانب الأرض منظر.⁶
وإذا رثى ثبتت ألفاظ البيئة الطبيعية في أبياته:
والليث لبدته وساعده :. ودريتاه الناب والظفر.⁷
وإذا مدح التصقت صور الطبيعة بمخيلته.

زجل يبرحه بالفضاء مضيقه :. فالسهل يِّم والجبال بحار.
والخيل تمرح في الشكيم كأنها :. عقبان صارة شاقها الأوكار.⁸
والصارة: هي أعلى الجبل، وهكذا أخذت الطبيعة من ابن هانئ الأندلسي، واستولت على عواطفه وإذا به يستلقي في ليالي ذلك الصيف استلقاء مستريح، ينعم بما هو من تلك القصور الزاهية والمروج الفاتنة فتأتي القصص والحكايات

وينشد الأشعار، وتظهر براعة الارتجال في قول الشعر وآدابه وأغراضه، فيشارك الأمير ومن يجالسونه أو من هم بحضرته وهو إليهم واثق.

فيقدم لهم جديد المأكولات ولذيذ الشراب، فتكتمل لوحات الفن الراقي في سمر وحبور، وهو يفرد للطبيعة الخلابة مقاطع مستقلة فيقف في استقراء على كل جزئية من جزئياتها، فيتنقل بين المنزهات نحو الرياض والأزهار والفوارات والأنهار وجميل الظباء والحيوانات والجدول العذبة، والطيور الشادية.

والخلاصة أن الطبيعة صامتة وحيّة مبعث لكل وصف ومورد لكل شعر.

مفهوم الطبيعة:

الطبيعة بمعناها العام تعني العالم الطبيعي، فهي تشير إلى الحياة بوجه عام بما يشمل المادة والكون، ومظاهر الحياة المختلفة للإنسان، باعتبار أن هذا الإنسان ليس له أي تمثيل في صنعها أو إنشائها. والطبيعة هي المجرات والكواكب، وهي المناظر الطبيعية لكل الأحياء من نباتات وحيوانات وبحار وأنهار، وأما الطبيعة الاصطناعية فهي "ما أدخل عليها الإنسان تحسينات جمّة على طرق الحرث والغرس والسقي، وهذا ما جعل الأندلس في العهد العربي جنة الدنيا".⁹

التغني برياض وجنات منطقة المسيلة:

وعلى رأس من وصفوا منطقة المسيلة، ومن برعوا في وصفها وتفجّرت قريحتهم رقةً وجمالاً من حيث براعة النظم، وشدة أناقة الألفاظ، وجميل روعة المعنى برسم أجمل اللوحات الطبيعية في اللون والدقة والتفصيل وأعذب سلاسة عبارة الشاعر المضارع للمتنبّي: ابن هانئ الأندلسي الإفريقي أبو القاسم محمد بن هانئ بن سعدون، وهو ما يماثل ما قاله جرير عند ابتعاده عن أرضه ونزعات فؤاده نحو موطنه، وفي ذلك دلالات تفسر نظام العلاقات فيها حسب درجة الإحالة في مكوناتها». ¹⁰

بان الخليط ولو طوّعت مـا بانـا .: وقطّـعوا من حبال الوصل
أقرانا

حي المنازل إذ لا نبتغي بـدلا .: بالدار دارا ولا الجيران جيـرا

أثر الدلالة في ألفاظ الطبيعة نظرة في جماليات شعر ابن هانئ الأندلسي

يا حبذا جبل الريان من جبل :. وحبذا ساكن الريان من كـانا
وحبذا نفحات من يمانية :. تأتيك من قبل الريان أحـيانا
هبت جنوبا بذكري ما ذكرتكم :. عند الصفاة التي شرقي حـورانا
يا أمّ عمرو جزاك الله مغفرة :. ردي عليّ فـؤادي كالذي كانا.¹¹
أو ما جاء على لسان الأعشى الأكبر (ت530هـ) في قوله:
ودع هريرة إن الركب مـرتحل :. فهل تطيق وداعا أيها الرّجل
غراء فرعاء مصقول عوارضها :. تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل.¹²
غراء: معناها بيضاء واسعة الجين، وفرعاء طويلة الشعر، مصقول
عوارضها أي شدة بياض الأسنان وارتباطهما ببعض، والوجي الوحل الغائص
في الوحل، والمعنى العام أن هريرة بيضاء طويلة شعر الرأس نقية الأسنان،
تمشي متمهلة كمن يغوص في الوحل.

التعريف بالشاعر:

أبو القاسم محمد بن هانئ بن سعدون الأندلسي الإفريقي الشاعر المشهور
الذي أمّ بلاط بني حمدون أمراء المسيلة وعاصمتهم بالمغرب الوسط الجزائر
حاليا، ثم عاش في رعاية المعز لدين الله الفاطمي، ويرجع نسبه إلى قبيلة الأزد
اليمنية والتي منها ثابت بن أوس الأزدي الملقب بالشنفرى لغظة شفثيه صاحب
القصيدة المشهورة والمسماة لامية العرب، "والتي تعتبر نموذجا متقدما في الشعر
لما حوته من أغراض متعددة كالوصف وحسن التصوير".¹³

أما مولده ففي اشبيلية بالأندلس بين سنتي 322 و326 هجرية في عهد
الناصر لدين الله الخليفة الأموي الأول الذي امتد به الحج في قرطبة نصف قرن
من 300 إلى 350 هجرية.

وفي بعض الروايات وعلى الأرجح أن أباه غادر مسقط رأسه بإحدى
قرى الجزائر (مهدية) بولاية تيارت حاليا ليستقر في إشبيلية وفيها كانت ولادته،
إذ نشأ في أسرة بيئية محافظة متمسكة بقواعد وأهداب الدين، يميل أفرادها إلى

التنقل وشد الرحال نحو الحواضر والحياة العلمية والثقافية، و«البحث هنا لا يدخل في علم الأجناس أو الأعراق، فليس لنا إلا أن نقرر واقعا لا شك فيه».¹⁴ أما عن وظيفة الشاعر الرسمية فتجلت عند الفاطميين وقادتهم وولاتهم، وذكرنا لوصفهم ومدحهم والتغني بخصالهم ومناقبهم، فقد حظي ابن هانئ الأندلسي باستقبال طيب في مدينة المسيلة عند الأمير جعفر بن علي بن حمدون قبل أن ينتقل إلى بلاط المنصورية بإفريقيا، ولذلك نجده يعظم آل حمدون ويصف طبيعتهم ويمجد حكمهم ويتشوق إلى عاصمتهم آنذاك منطقة الزاب القديمة، والتي تعتبر قديمة «قدم التفكير الإنساني، ومواكبة لتقدمه وتطوره».¹⁵

ومن ذلك عينة من آخر قصيدة لمدح المعز لدين الله الفاطمي، وقد بعث بها إلى القاهرة، وهو حينئذ بمدينة المسيلة مع عياله سنة 362هـ، والتي مطلعها: أصاغت فقلت أجرد شيطم. : وشامت فقلت لمع أبيض مخضم.¹⁶ ويعني أصغت إلى وقع حوافر وسنابك حصان طويل الجسم سريع القطع، والتي منها:

ولولا قطين في قصي من النوى : لما كان لي في المسيلة من متلوم.¹⁷ ويعني: ولولا أهل بيتي بمنطقة المسيلة وبعدي لما انتظرت ومكثت طويلا عنكم لأنني أشد إخلاصا لكم.

وابن هانئ الأندلسي الإفريقي كغيره من الشعراء وصف البيئة الطبيعية وبكل ما أحاط بمنطقة المسيلة من ظواهر طبيعية إذ عاش فيها ردها من الزمن مع أهله فذكر في أشعاره مناصفة بين ما وجد في الأندلس وكذا ما وجد بمدينة المسيلة وهي إذا ذاك أعظم ولاية جزائرية تمتد ما بين الحدود التونسية الحالية الآن حتى الناصرية (بجاية) حاليا شمالا وتشمل كذلك بعض من صحاري الجزائر تقرت وبسكرة حاليا، فذكر العشب والأزهار والحيوانات والطيور، والناقة والفرس، ووصف كل ما صادفه من ألفاظ الطبيعة الخلابة الغناء.

منطقة المسيلة:

نشأت منطقة المسيلة في عصر الفاطميين على الدين الإسلامي بكل رحابة صدر ومردّ ذلك إلى تقبل الإسلام فاختلف الفاتحون بالسكان الأصليين

أثر الدلالة في ألفاظ الطبيعة نظرة في جماليات شعر ابن هاني الأندلسي

وعاشروهم وصاهروهم وامتزجوا بهم وتبادلوا معهم العادات والتقاليد فأصبحت المدينة عربية الملامح، شرقية الوجهة، وبمعنى أصح مدينة إسلامية في أثواب عربية، حيث تتميز منطقة المسيلة قديماً بالأرجاء الطبيعية الخضراء، إذ تصنف هذه الأرجاء ضمن المساحات الطبيعية بغطائها النباتي، كما تصنف من جهتها إلى مجموعات منها العشبية للكأ، ومنها العطرية للزينة، ومنها كذلك الطبيعة للتداوي، وما يسمى في عصرنا بالطب البديل كناية عن العلاج الزهري "من الأزهار"¹⁸.

وإذ تعتبر منطقة المسيلة قديماً مثل ما أسلفنا منطقة غنية بهذا الغطاء النباتي الطبيعي من أشجار وبساتين، فإنه يستلزم بالضرورة عيش بعض الحيوانات البرية والأليفة، إلى جانب ما يمر بتلك المناطق ويعبرها من الطيور، كل ذلك يشكل إلى جانب المياه والغدران لوحة فسيفسائية طبيعية، يزيد في تلك الفسيفساء انبساط المنطقة، مما يشكل تنوعاً بيولوجياً.¹⁹

لذلك ينقل لنا ابن هاني الأندلسي مشاهد خلابة تريح النظر، وقد تفاعل معها هذا الشاعر الفذ لما لها من التأثير الشديد على نفسيته، كما أن اختيار الألفاظ المعبرة في قصائده هي عربون حب لطبيعة منطقة المسيلة وتتمين لها، ولأن المسيلة كانت إلى عهد قريب موطناً لكثير من الحضارات المتعاقبة، وهو ما زاد في افتتان الشاعر ابن هاني الأندلسي بمجمل معالمها الجميلة وأشعاره دليل على ذلك، وبما تمتلكه من مواطن الجمال الطبيعي، مما أضاف للمنطقة ذلك الرونق البهي الذي تتباهى به، فهي كلها مظاهر تأخذ بالألباب وتأسر الناظر.

وما ذكر ابن هاني للمدينة وتغنيه بها في أشعاره وحنينه إليها عند فراقها، إلا لأن سحرها العجيب يأخذك نحو الانفتاح الطبيعي، من حيث ما يغطي أراضيها من كثافة غابية، وما تتلون به هذه السهول من غطاء نباتي أخضر، مما جعلها مركزاً ومقصداً لتعاقب هذه الحضارات التي ذكرنا، يزيد في كل ذلك ما مرّ بالمنطقة من إيديولوجيات ومعتقدات تساهم بشكل أو بآخر في بناء معالم

المنطقة، وهو ما يجعل الموروث الثقافي يظهر في رسم العمارة أو الألوان، أو التنوع التراثي أثناء استقرار الأوضاع الأمنية.

وتشكل منطقة المسيلة عبر تاريخها المجيد كعاصمة الزاب حلقة تواصل وعبور بين المشرق والمغرب، وهو ما شكل نفسية تقسم جسمها في جسوم كثيرة نحو بقية مواطن الرعية، يوافقه ما جاء على لسان عروة بن الورد، حيث يقول:
أقسم جسمي في جسوم كثيرة :. وأحسو قراح الماء والماء بارد.²⁰

مدينة المسيلة:

«المسيلة بالفتح ثم الكسر والياء ساكنة ولام، مدينة بالمغرب تسمى المحمدية اختطها أبو القاسم محمد بن المهدي في سنة 315هـ، وهو يومئذ وليّ عهد أبيه، وأبو القاسم هذا هو الذي يلقب بالقائم بعد المهدي، من المنتسبين إلى العلويين الذين كانوا بمصر، ينسب إليها أبو العباس أحمد بن محمد بن حرب المقرئ»²¹، حيث يقول ابن حوقل: «وهي مدينة محدثة استحدثها علي بن الأندلسي أحد خدم آل عبيد الله، وعبيدهم، وعليها سور حصين من طوب، ولها واد يقال له وادي سهر، فيه ماء عظيم، منبسط على وجه الأرض، وليس بالعميق، ولهم عليه كروم، وأجنة كثيرة، تزيد على كفايتهم وحاجتهم، ولهم من السفرجل المعتق ما يُحمل إلى القيروان، ومن غلاتهم: القطن والحنطة، والشعير، وتكثر عندهم المواشي من الدواب والأنعام والبقر»²²، كما عرفت منطقة المسيلة مكوّنات بشرية جمالية «ومن العناصر الجمالية التي عرفتها مدينة المسيلة، الجالية الأندلسية، وربما يكون سبب توافدها إلى الظروف التي كانت تعيشها الأندلس، ومن بين الوافدين على المنطقة متتبي الغرب ابن هاني الأندلسي الذي عاش في كنف الأسرة الحمدونية، ولا يستبعد أنه قدم مع أسرته»²³.

«كان نشاطها الثقافي أعظم، وإقبال الأدباء عليها أكثر لاهتمام أميرها جعفر بن علي المعروف بابن الأندلسية لاستقدام العلماء إلى بلاطه بها، ولاتخاذها عاصمة للجهة الشرقية من القطر الجزائري، وقد كان وفود ابن هاني

أثر الدلالة في ألفاظ الطبيعة نظرة في جماليات شعر ابن هانئ الأندلسي

الأندلسي عليها مبعثا لحركة أدبية نشيطة بها لم تُعْتم، إذ أنجبت طائفة من الأدباء كعبد الكريم النهشلي، وابن رشيق وغيرهما».²⁴

وحتى يكون الموضوع ثريا نساير ما ذكر ابن هانئ الأندلسي في ذكر ألفاظ الطبيعة، وعلى اعتبار أن ابن هانئ الأندلسي، والذي يعرف بمنتبي الغرب لتأثره بأساليب المنتبي في الوصف والحكم والأمثال، فهو يكثر من خصال الجيوش وبأسهم ووقع السلاح على العدو، ويصف الممدوح وهو بين الدماء ولمعان السيوف في سعة وثبات، على عادة المنتبي، لأن ابن هانئ ولكونه أمير شعراء الأندلس في عصره فإن «اللغة الشعرية عنده تتجلى كلغة قد رتبت على نحو خاص»²⁵، وقد ملك ناصية اللغة وتمكن من الإلمام بسعة قاموسها وهي عنده أبلغ وأقدم اللغات، «وإذا لم تكن اللغة العربية أقدم اللغات السامية فيجب أن تكون من أقدمها، فليس في الإمكان أن تكون قد بلغت في سعة قاموسها وتمام تركيبها ودقة تعبيرها وبراعة نثرها وشعرها وإحكام بلاغتها إلى الدرجة التي نجدها في الشعر، لو لم يكن قد مضى على تطورها يوم ذاك قرون كثيرة، ولم يكن في اللغات السامية ولا في اللغات غير السامية لغة فيها من طاقة الحياة ومن المطاوعة للتطور مثل اللغة العربية، ثم هي بلا ريب أطول اللغات الحية عمرا»²⁶، وفي ذلك يقول ابن هانئ:

إذا كان تفريق اللغات لعله :. فلا بد فيها من وسيط مترجم.²⁷

وللعلم فإن لابن هانئ الأندلسي «في مدح جعفر بن علي بن حمدون والي الزاب خمس عشرة قصيدة، ومقطوعتان، وفي مدح أخيه يحيى بن علي خمس قصائد وأربع مقطوعات، وفيهما معا قصيدة واحدة، ومجموع الأبيات التي قالها ابن هانئ في ذينك الأخوين ألفان وستمئة وستة وأربعون (2646 بيتا)».²⁸

حياة ابن هانئ الأندلسي:

حياة ابن هانئ الأندلسي يعتريها كثير من الغموض وقلة المعلومات، وكأنها لغز محير، وهي شحيحة تلك المعلومات الموثقة التي تبدو كأنها سراب، بحيث لا تنقل حياته الخاصة مع أهله وذويه، ولا عن شعره المنظوم قبل عبوره

جبل طارق نحو الأندلس، ولربما ونظرا لتشيعه واعتناقه مذهب الإسماعيلية ومغالاته وتطرفه فيه جعل حياته يكتنفها جانب كثير من الغموض وذلك غير مستبعد، ومعظم ما ورد من حياته يقتصر على تلك الوظيفة الرسمية في بلاط المسيلة كشاعر تغنى بمآثر جعفر بن علي بن حمدون والي الزاب.

ولعل أول نشر لديوانه بصورة ثرية في سنة 1933 من قبل الدكتور زاهد علي في القاهرة بمصر من حيث الطبعة الجيدة للديوان والمشفوعة بشروح ضافية، وبمقدمة مسترسلة هي التي حوت أهم المعلومات المفيدة عن حياته وعن شخصيته، وعن أشعاره قبل أن تكون الطبعات السابقة أهم مكسب ينفض الغبار عن شخصية ابن هانئ الأندلسي.

تشيع محمد ابن هانئ بن سعدون:

تعني كلمة التشيع الأهل والأتباع والأنصار كما في قوله تعالى في معرض حديثه عن موسى عليه السلام: ﴿فَاسْتَعَاثُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ...﴾²⁹، وفي اللغة العربية «تشيع: ادعى دعوى الشيعة، وتشايح القوم صاروا شيعة».³⁰

وكل قوم اجتمعوا على أمر مهم فهم شيعة، بعضهم لبعض غير أن هذه الكلمة أصبحت حكرا على أنصار علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذريته من بعده، فإذا قيل: أن فلان من الشيعة عرف أنه منهم أو قيل مذهب الشيعة كذا: أي عندهم، وأول ما كان مبدأهم يدور حول تلك الخلافة مع بقية جمهور الأمة حول الخلافة، ومن هو أحق بها، والخلافة لمن يصلح من أبناء المسلمين.

((وقد نشأ التشيع بسيطا في أول الأمر ثم تطور بمضي الزمن وأصبح مذهباً دينياً وسياسياً كما كان أتباعه فرقة واحدة شأنه في ذلك شأن الخوارج ثم لم يلبثوا أن تفرعوا إلى فرق مثل الاكاكية والاثنا عشرية والزيدية والإسماعيلية، وما ينطوي تحت ذلك من اعتناق روافدها من العلوم الفقهية والمذهبية والدعوة إليها.

أثر الدلالة في ألفاظ الطبيعة نظرة في جماليات شعر ابن هانئ الأندلسي

أهم مميزات البيئة المسيلية:

مسيلة هي عاصمة الحضنة وهي يومئذ أعظم ولاية جزائرية تشمل ما بين حدود تونس توزر حاليا، وما اتصل بضواحيها وبجاية الناصرية شمالا وما تحتويه من مناطق الصحراء تقرت وادي سوف وبسكرة حاليا.

تأسست مدينة المسيلة على حسب الروايات سنة 315هـ/927م.³¹

وأنساب مدينة المسيلة تتعدد بين اليمينيين من الأزد وكندة ولخم (قبائل عربية) والمصريين من أهل الحجاز (قيس وتميم)، فمنهم من مرّ إلى الأندلس عبر سبتة ومليلية إبان الفتح الإسلامي ومنهم من استقر بالمسيلة.

والبيئة الطبيعية لها الدور الكبير في عظيم تحديد ألوان ما تلقى ابن هانئ من ثقافة دينية كالقرآن الكريم، وقد ألم كذلك بالسيرة النبوية، وله اطلاع واسع بالقصص وما إليها من الأساطير التي كانت شائعة في عصره، وما يضاف على هذا كله ما استعذبه من شعر ممن سبقوه وتعلّق بهم وتأثر بها مثل المتنبي على رأي كثير من النقاد.

وإذ تمتاز المسيلة بسحرها المبهج للنظر وبجمال طبيعتها الآخذة بالأبواب، وما بها من عظيم الجنات وكريم الثمار، فإنها محور وصف كثير من الشعراء الذين تغنوا بها ومنهم ابن هانئ الأندلسي.

شعر ابن هانئ صورة صادقة لمنطقة المسيلة:

قصائد ابن هانئ الأندلسي في وصف مدينة الزاب "منطقة المسيلة" صورة صادقة وهي تحمل أهم المعلومات إذا ما غصنا فيها لأنها مفيدة عن ذلك الوصف الثري، كما أنها مصدر هام لدراسة عقيدته الإسماعيلية، وما إشارته إلى النوايا التوسعية للدولة الفاطمية، وما يزيد من فهم سياستهم التي كانوا يحلمون بها في أثناء القرن الرابع الهجري للإطاحة بملك بني العباس، وكذا عرش بني أمية، وقد كانوا يقومون كذلك بردع الروم في البحر المتوسط وخصوصا في نواحي صقلية، كما أن «لقصائد ابن هانئ الأندلسي قيمة أخرى أدبية ترفع ذلك الأديب إلى مصاف الشعراء العمالقة مثل المتنبي رغم الأحكام المغرضة التي أبداهها في

شأنه "المعري" في رسالة الغفران، وابن شرف القيرواني في مسائل "الانتقاد"، وإن شدة تعلقه بمذهبه الإسماعيلي وغلوه في مدح إمامه المعز قد جلبا له نقمة النقاد القدامى، فاستنقصوا شعره وشبهوه بالأرحاء التي تدور فارغة، فيسمع لها دوي ولا يرى لها طحُن».³²

الخلاصة والاستنتاج:

- حب الطبيعة وشغف الشاعر بها، ولوعه بجمالها، من أهم ما ساعد على إبداعه في وصفها وفي رسم الصورة الأدبية والشعرية، إذ مزج بين الطبيعة الصامتة والطبيعة المتحركة تناغما وتفاعلا.
- تغلغت الطبيعة إلى حد كبير في جل أغراض ابن هانئ الأندلسي الشعرية، وتراوحت بين التشخيص الإنساني الأدمي كإسقاطات على حالات الإنسان النفسية والشعورية والانفعالية، وهو ما أكسب النصوص الشعرية عنده جودة التجديد في ألفاظ جمالها وبيئته منطقة المسيلة الطبيعية.
- ظهرت وبرزت للعيان ألفاظ الطبيعة في شعر ابن هانئ الأندلسي إذ تعددت ألفاظ البيئة الطبيعية، وكذا تأثيراتها ودلالاتها في كل أغراضه وصفا وهجاء وفخرا، فرحا وحزنا.
- للشاعر ابن هانئ الأندلسي حس مرهف في وصف البيئة الطبيعية المسيلية، وله قدرة عالية في توظيف ألفاظ البيئة الطبيعية بإبداع ومقدرة فنية تنوعية أحرز فيها سبق عن المتنبي كون الكثيرين يرون أنه مقلد وأخذ عنه الصنعة اللفظية.
- ألفاظ الطبيعة في وصف المسيلة وبلاط بني حمدون خدمت أغراض النصوص الأدبية في شعر ابن هانئ الأندلسي، وطوعها بخياله المحلق في فضاء الطبيعة، فتتوعت القصائد الشعرية في البناء وذلك من أهم عوامل الإبداع لديه.

أثر الدلالة في ألفاظ الطبيعة نظرة في جماليات شعر ابن هانئ الأندلسي

- اكسب ابن هانئ الأندلسي ميزة جديدة في استعمال ألفاظ البيئة الطبيعية من حيث تأثيره وحيويته باتجاه المتلقي.

الملاحق:

القصيدة الأولى:

1- في هذه القصيدة لقد سمى ابن هانئ الأندلسي مدينة المحمدية بجنة عدن، وشبه الشاعر نفسه في خروجه من المسيلة بآدم حين خرج من الجنة، ووصف تجمع الوفود أمام باب قصر الأمير بالمسيلة أفواجا أفواجا، وكيف أن علي بن حمدون أهل ومعشر للغرباء والمتشردين، وهنا «قد لا يكون الشاعر داعية لحزب أو فكرة معينة بذاتها، لكنه يخضع لثقافة العصر».³³

خليلي أين الزاب مني وجعفر .: وجنات عدن بنت عنـها وكوثر.
وقبلي نأى عن جنة الخلد آدم .: فما راقه من جانب الأرض منـظر.
لقد سرني أني أمر بباله .: فيخبرني بذلك عنه مخـبر.
وقد ساءني أن لا أراه ببلدة .: بها منسك عظيم ومشـعر.
وقد كان لي منه شفيـع مشـع .: به يمحـص الله الذنوب ويغـفر.
أتى الناس أفواجا إليك كأنما .: من الزاب بيت أو من الزاب محـشر.
فأنت لمن قد مزق الله شملـه .: ومعره والأهل أهل
ومعرـش.³⁴

القصيدة الثانية:

2- جعفر بن علي هو الوالي على بلاد الزاب في عاصمتها المسيلة وأخو المعز لدين الله الفاطمي من الرضاغة، «على اعتبار أن اجتماع المفردات في الجمل والعبارات بطريقة منتظمة تكسب الكلام درسا موسيقيا جميلا يمكن أن يحقق دلالة معينة».³⁵

فتقت لكم ريح الجـلاد بعنبر .: وأمدكم فلق الصـبح المسـفر.

وجنيتهم ثمر الوقائع يانــــعا .: بالنصــــر من ورق الحديد الأخضر.
كل الملوك من السروج سواقط .: إلا الممــــلك فوق ظــــهر الأشقر.
جيش تقدمه الليوث وفــــوقها .: كالغيل من قصب الوشيج الأسمــــر.
وكأنما سلب القشاعــــم ريشها .: مما يشق من العجاج الأكدر.
إننا لتجمعنا وهذا الحي من .: بكر أذمة سالف لم تخفر.
أحلافنا فكاننا من شبيبة .: ولداتنا فكاننا من عنصر.³⁶

يقول: استخرجت رائحة الحرب من عنبر، والغيل: الشجر الكثيف
الملنف، وأما القشاعم: النسور، يريد أن يقول: أن غبار الحرب ارتفع إلى حيث
تطير النسور فمنعها عن الطيران فكان الجيش قد سلبها ريشها.

القصيدة الثالثة:

3- هذه القصيدة لابن هانئ في مدح المعز لدين الله الفاطمي وبعث بها إليه
بالقاهرة، والشاعر في الزّاب بالجزائر مع عياله، ويمكن تأريخ القصيدة
سنة 362هـ، وكثرت فيها الجمل الفعلية لأنها أجل وأعظم، «والجمل
الفعلية أشيع وأجل شأنًا لأنها أحفل بالمعاني».³⁷ وقد استهلها بقوله:

أصاغت فقلت وقع أجرد شيطم .: وشامت فقلت لمع أبيض مخــــذم.
وما ذعرت إلا لجرس حليها .: ولا لمحت إلا يرى من مخــــذم.
وما طعمت إلا غرارا من الكرى .: حذار كلوء العين غير مهوم.
لديك جنود الله منها رجومه .: فمن مارج نار وكسف مضــــرم.
كما سار في الأنصار جدك من منى .: وقاد الحواريين عيسى بن مريم.
فلا مهجة في الأرض منك منيعة .: ولو قطرت من ريق أرقط أرقم.
فقد سئمت بيض الطبى من جفونها .: وكانت متى تألف سوى الهام تسأم.
وللعرب العرباء ذلت خدودها .: وللفترة العمياء في الزمن العمي.
إذا كان تفريق اللغات لعلّة .: فلا بد فيها من وسيط مترجــــم.
وأقسم أني فيك وحدي لشيعة .: وكنت أبر القائلين بمقســــم.
ولولا قطين في قصي من النوى .: لما كان لي في الزاب من متلوم.³⁸

أثر الدلالة في ألفاظ الطبيعة نظرة في جماليات شعر ابن هاني الأندلسي

أراد بالقطين أهل بيته، وأراد بالمتلوم مكان التلوم أي الانتظار والتمكث.
وفي الأخير فإن للفتح الإسلامي بعيد الأثر في كل البلاد التي دخلها
الفاتحون، وقد صدق الشاعر العربي حين ركّز على ذلك بقوله: (السيف فتح :.
وللأقلام عرفان).

وهكذا هو الفتح الإسلامي، ليس فتح عنوة وقوة ورمح وسهم وسيف
وفقط، لكنه فتح أقلام تنبض بفكر يتأمل وقلب يتألم، لأن تلك البلاد التي دخلها
الفاتحون سبق وأن كانت في جهل وظلمة، ومثال عن ذلك ها هي الأندلس جسر
حضارة، ومنفذ هداية، مرت على ظهره تلك الحضارة العربية التي يغترف منها
الغرب ولا يعترف بها.

الهوامش

- 1 - ابن الرومي: الديوان، تحقيق: حسين نصار، مطبعة دار الكتب القومية، القاهرة، مصر، ط3، 2003، ص 173.
- 2 - أحمد خالد: ابن هاني، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط1، 1976، ص 138.
- 3 - ابن الرومي: المرجع السابق، ص 53.
- 4 - سليم جلول حمريط: دلالات أبنية الفعل في لامية العرب للشنفرى، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، القاهرة، مصر، ط1، 2019، ص 17.
- 5 - أحمد خالد: المرجع السابق، ص 142.
- 6 - عبد الرحمن شيبان: المختار في القراءة واللغة، المعهد التربوي الوطني، الجزائر، ط1، 1976، ص 74.
- 7 - أحمد خالد: المرجع السابق، ص 171.
- 8 - أحمد خالد: المرجع السابق، ص 125.
- 9 - قدري حافظ طوقان: العلوم عند العرب، دار إقرأ، بيروت، لبنان، ط2، 1983، ص 33.
- 10 - عبد السلام عيساوي: قضايا المعنى، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط2، 2016، ص 18.
- 11 - حنا الفاخوري: منتخبات الأدب العربي، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، ط5، 1970، ص 110-111.
- 12 - حنا الفاخوري، المرجع السابق، ص 47.
- 13 - عبد عون الروضان: موسوعة شعراء العصر الجاهلي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2001، ص 133.
- 14 - خليل شرف الدين: المتنبي، دار مكتب الهلال، بيروت، ط1، 1980، ص 46.
- 15 - أحمد مختار عمر: علم الدلالة، مطبعة عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 1985، ص 17.

- 16 - أحمد خالد: المرجع السابق، ص 129.
- 17 - المرجع نفسه، بنفس الصفحة
- 18 - الدواء قسمان: دواء كيماوي يدخل فيما تركبه المصانع من مواد مصنعة، ودواء زهري من الأزهار والنباتات العشبية، وهي إحدى الكائنات الحية التي لا تستقيم الحياة على الأرض إلا بدونها، ونعني استخدام الزهور للعلاج، والتداوي من الأسقام.
- 19 - انظر: كتاب الريحاني: طبيعة لبنان، قراءة سياسية لأعلام أدب المهجر (1-طبيعة لبنان).
- 20 - عروة بن الورد: الديوان، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ص 96.
- 21 - ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، مج5، 1977، ص 130.
- 22 - أبو القاسم ابن حوقل النصبى: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص 85.
- 23 - أحمد عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مصطفى ضيف، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص 308.
- 24 - كمال بريم: مدخل إلى تاريخ مدينة المسيلة من الاحتلال الروماني إلى العهد العثماني، دار الأوطان، الجزائر، ط1، 2012، ص 131.
- 25 - يوري لوتمان: تحليل النص الشعري، ترجمة: محمد فتوح، دار المعارف، مصر، ط1، 1995، ص 97.
- 26 - عمر فروخ: العرب في حضارتهم وثقافتهم، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1981، ص 87.
- 27 - أحمد خالد: المرجع السابق، ص 132.
- 28 - أحمد خالد: المرجع السابق، ص 45.
- 29 - سورة القصص، الآية 15.
- 30 - فؤاد أفرام البستاني: منجد الطلاب، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط26، 1982، ص 390.
- 31 - علاوة عمارة: لتحولات المجالية لبلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، مجلة تراث الزيبان، بسكرة، الجزائر، عدد 1، 2016، ص 16.
- 32 - أحمد خالد: المرجع السابق، ص 46.
- 33 - ضرغام الدرة: التطور الدلالي في لغة الشعر، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016، ص 308.
- 34 - عبد الرحمن شيبان: المرجع السابق، ص 74.
- 35 - صائل رشدي شديد: عناصر تحقيق الدلالة في العربية، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2004، ص 76.
- 36 - أحمد خالد: المرجع السابق، ص 65.
- 37 - غازي مختار طليمات: في علم اللغة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط2، 2000، ص 189.
- 38 - أحمد خالد: المرجع السابق، ص 129.